في خطبة للنشاشيبي :

كتاب أحمد شاكر الكرمي

كان وعد لي «الرسالة» في المقالة (الفيلسوف أمين الريحاني) — رحمة الله عليه — أن ينشر كتاب النابغ الناقد مازنيّ الشام وعقّاده، المأسوف على آدابه وشبابه الأستاذ (أحمد شاكر الكرمي) صاحب صحيفة (الميزان) .

و (كتاب أحمد) هو في خطبة للنشاشيبي اسمها (كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه) قالها منذ أربع وثلاثين سنة في الحرب الكبرى الأولى ، في كلية صلاح الدين الأيوبي ، في بيت المقدس .

وهذا هو الكتاب :

سيدي الأديب الجليل :

وصلتني « كلمتك الموجـــزة » فكنت أتمثلك وأنا أتلو سطورها ، مدرهاً من فحول الجاهلية قهرتصاريف الأيام ، وحظي بنعمة الخلود ، وقام يقرع مسمع الدهر بآيات العلم والعرفان في عصر العلم والنور .

إني مدين لرسالتك بنشوة السرور التي خامرت قلبي في زمن لا يبعث كل ما فيـه إلا على الحزن والأسى ، فقد أطربني حقاً وجود أديب بين ظهرانينا يجلو أسرار العلم الحديث ومعجزاته في هذه الحلة العربية القشيبة في زمن استعجم فيه أبناء الضاد ، وكادوا يضيعون آخر الذخائر وأثمن النفائس التي ورثهم إياها أسلافهم الأبرار .

وإني لأرجو أن تدفعك غيرتك على هـذه اللغة المجيدة التي قلّ أنصارها إلى الإكثار من هذه الآثار التي تعتز بها دولة الأدب ، وتهتز لها أعطاف البلاغة . والسلام عليك من أخ مخلص يجلّ منزلتك ، ويكبر أدبك وبيانك .

دمشق الشام في ١٨ آذار ١٩٢٢ أحمد شاكر الكرمي

وهذه شذرة من الخطبة التي شرّفها وأعلى قدر منشيها اسم النبي محمد فيها[1] .

« ثمّ أتى على العالم من بعد ما اجتلى من الحكمة الاغريقية والعلم الأغريقيّ الذي اجتلاه حين من الدهر كربت تضمحلّ فيه آثارُ هذه الحكمة . وتنطفئ من سمائها أنوارُ درارى طالما هدت السارين ، وأرشدت الضالين . (وبينما العسر إذ دارت مياسير) وبينا العالم يرتقب هاديه وقد تطاولَ ليلُ ضلاله وحيرته صاح صائتٌ في فلاة لم تعتدِ الناسُ أن تسمع فيها للخير دعاء . فأرهفَ لاستماع ما يقول الصوتُ أُذنه : فإذا هو يوقظ الهاجد في عماه ، وينبه الغافل من كراه ، وينادي إلى الحق وصراط مستقيم . وذلك الصائت هو سيدنا وزعيمنا وإمامنا ومُصلحنا . وقرة أعيننا ، ومهوى أفئدتنا ؛ شرَفُ العرب بل المشارقة بل قطين الأرض قاطبة . موحّدُ أهواء أهل (الجزيرة) المتشتة . والمؤلف بين قلوبهم المتفرقة ، ونازع ما في صدورهم من غلّ . والكادح الجاهد في إعزاز مكانتهم وإعلاء كلمتهم ، وتمليكهم الدنيا . مهدّم عروش الطغاة والجبابرة من الأكاسرة والقياصرة . محرّر الشرق من الغرب . مخرج هرقل من سوريّة . وطارد كل طاريء أوربيّ من كل قطر أسيوي أو إفريقيّ ذو الخلق العظيم والكتاب الكريم . شائد الوحدة العربية وصفوة النوع الانسانيّ ، وأكبر معاني الكون (محمد بن عبد الله) فتبدّلت الأرض في ذلك الوقت غير الأرض ، وارتدت من الخير بجلباب كانت قد نضته ، ورحّبت وأهّلت بما قلّدته من الحكمة واجتوته ، وغدا آباؤنا إلى ظلل العلم الدارس والدنية الطامسة . فشادوا في مكانه صرحاً لها مُمرّداً » .

ذلكم ما أُملي عليّ ، فكتبته ، ورويته . ولم يزد مملي الكلام وكاتبه حرفاً .

السرهمي

(١) يقول النشاشيبي في مقدمة الخطبة التي سماها (كلمة أمام الكلمة) : وما حسن هذه الكلمة إلا أنها تجملت بذكر النبي ، وتزينت بالتنويه بالمصلح العربي ، فجملت وحسنت ، وصبحت وملحت ، وما هي بالصبيحة ولا المليحة .